هكذا عرفت البكر وصدام: رحلة 35 عاما في حزب البعث (4)

تردد احمد حسن البكر بدعم خطوة تأميم النفط العراقي ربما كان متعلقاً بصعود صدام الى السلطة
الرئيس كان يتنصت على مكالمات حردان التكريتي.. ويتحاشى السفر بسبب البروتوكول المعقد

اعدها: هارون محمد*

البكر يتردد تجاه خطوة تأميم النفط العراقي

في ضوء مداولات صالح مهدي عماش (1) معي في ربيع عام 1971 ـ بعد عودتي من ألمانيا وتعييني عضوا في مكتب الشؤون الاقتصادية لمجلس قيادة الثورة ـ كان عماش، باعتباره المشرف على الأمور الاقتصادية، يتحدث عن تأميم النفط باعتباره الحل الأمثل لاستقرار وتحسين موارد البلاد رغم عدم اندفاعه لهذه الخطوة في تلك المرحلة التي شهدت اتفاقات مع شركات النفط على تحسين الشروط وزيادة الإنتاج.

وأتذكر رسالة بعثها لي بتاريخ 25 آذار (مارس) 1971 مع حكمت العزاوي ـ حين كنتُ في ألمانيا ـ جاء فيها «ونحن نأمل ان تنتهي أزمتكم الحالية وتعودوا الى بغداد لنعمل سوية في ظروف ممتازة خصوصا بعد الزيادة الكبيرة في واردات النفط التي ارتفعت من 170 مليون دينار الى حوالى 330 مليوناً هذا العام».

في الفترة التي سبقت عمليات التأميم، كانت لدي مداولة مع الرئيس البكر في مكتبه. وعرّجت في حديثي الى الاستعدادات المطلوبة لخطوة تأميم النفط. ودُهشتُ غاية الدهشة لرد فعل البكر في تلك اللحظة. فما أن وصلتُ الى عبارة «تأميم النفط» حتى قطع البكر حديثي وقال (دكتور، إنس موضوع التأميم ولا تعرج عليه مرة أخرى)!.

تساءلت مع نفسي، هل كان البكر مترددا الى هذه الدرجة من خطوة التأميم انطلاقا من احتمال سعي شركات النفط الأجنبية لزعزعة السلطة والإطاحة بحكم البعث؟ أم أن هناك ثمة تدبيرا ما بين البكر وصدام من حيث التوقيت(2) او بعبارة أخرى وضع الموضوع في درج مغلق مرحليا لحين تسلم صدام زمام الأمور الاقتصادية في البلاد...

قد يكون كلا التفسيرين صحيحاً في آن واحد.

لم يكن (تردد) البكر من عملية التأميم محصورا به، فقد شمل التردد أيضا أطرافا سياسية كانت مشاركة في الحكم آنذاك، بل ذهب التخوف الى حلقة أبعد، وأتذكر هنا، حين كنتُ عضوا في الوفد العراقي ـ برئاسة صدام ـ الى الاتحاد السوفييتي بعد فترة قصيرة من إتمام خطوة التأميم، أن بريجينيف خاطب صدام قائلا: إن تأميم النفط الذي أقدم عليه العراق كان خطوة تتصف بالجازفة وتحيطها أخطار جسيمة محتملة! أما التفسير باحتمال اتفاق البكر وصدام بتأجيل إثارة موضوع التأميم مرحليا آنذاك فتدعمه الوقائع التي تلت بعد شهور قليلة فقط من حديثي المذكور مع البكر.

فقد تم في أيلول (سبتمبر) 1971 إعفاء عماش من مناصبه وإبعاده سفيرا في موسكو، وبذلك تسلم صدام مهمة الإشراف على القطاعات الاقتصادية للبلاد وفي مقدمتها النفط.

الرئيس يتنصت على مكالمات نائبه الهاتفية

كان بإمكان كلّ وزير ومن لديه الهاتف الحكومي الخاص (السري) أن يتصل بالبكر مباشرة ويتكلم معه في مكتبه وإن أدى هذا الى قطع حديث المجتمعين معه في تلك الساعة، ولم تكن طبيعة البكر تسمح أن ينهي المكالمة ويطلب من الشخص إعادة الاتصال به بعد فترة، وظلت هذه الحالة قائمة فترة طويلة، ولقاءات المسؤولين معه في مكتبه مضطربة حتى تم نقل رقم هاتفه الى مدير مكتبه ليتم الاتصال بالأخير أولا وطلب الحديث مع البكر إن لم يكن مشغولا، والواقع أن هذا الترتيب ليس اكتشافا جديدا بل يمثل أبسط القواعد في العمل الإداري التي غابت عن الأذهان في القصر الجمهوري فترة طويلة.

كان البكر يرحب وقوفا بالقادمين الى مكتبه، ثم يجلس أمام منضدته التي تتواجد عليها هواتف عديدة ينشغل أحيانا بالمكالمات عبرها. واسترعى انتباهي وجود هاتف تحت جانب من منضدته. ولولا رنين جرس هذا الهاتف أحيانا لما انتبهت لوجوده بتاتا، كنتُ ألاحظ مطالبة البكر الحاضرين التوقف عن الحديث حين يرن جرس هذا الهاتف. يرفع السماعة بهدوء ويضعها على أذنه مركزا على الاستماع للكلام وقتا طويلا دون أن ينبس ببنت شفة، ثم يعود ويضع السماعة على الهاتف بهدوء مماثل.

تكرر هذا المشهد مرات عدة حين مقابلتي للبكر في مكتبه، ثم علمتُ بعدها أنه كان يتنصت على مكالمات حردان التكريتي الهاتفية.

كان حردان آنذاك عضوا في مجلس قيادة الثورة ونائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للدفاع، لكن الكثير من قياديي الحزب يعتبرونه شخصا غير مأمون الجانب (3).

اللافت هو أن حردان كان على علم بعملية التنصت على مكالماته الهاتفية ومراقبة تحركاته. ومما أذكره اغتنام حردان إحدى جلسات مجلس الوزراء التي كان يترأسها بنفسه ليناشد الوزراء بأسلوب المداعبة كي يأخذوا حذرهم إذا اعتقدوا أن الهواتف الحكومية (السرية) هي سرية فعلا! ثم تطلع الى الوزراء وعلى وجهه ابتسامة عريضة ساخرة.

لم يبق حردان في مراكزه فترة طويلة، فقد جرى إعفاؤه من جميع مناصبه وعُيّن سفيرا في اسبانيا في 15 تشرين الأول (اكتوبر) 1970، حيث لم يلتحق بمنصبه، وإنما ذهب الى الجزائر وأقام فيها، ثم جرى اغتياله في الكويت خلال زيارة قام بها اليها في 30 آذار (مارس) 1971، أي بعد أقل من ثلاث سنوات على مشاركته في مجيء البعث الى السلطة.

البكر ينصف أرملة جار عليها الزمان

في أحد أيام الصيف القائظة طرقت بابي امرأة ترتدي العباءة السوداء وحول وجهها وشاح غامق اللون، راجية مني السماح لها بعرض قضيتها. جلست في غرفة الاستقبال مكسورة الخاطر يأخذ منها الهمّ مأخذا. ثم أخذت تروي أن زوجها الموظف بدرجة بسيطة في إحدى المصالح الحكومية توفي منذ فترة قصيرة، ليتقرر تبعا لذلك منحها مبلغا من المال عوضا عن راتب تقاعدي شهري عن خدمة زوجها المتوفى. وتبين من حديثها أن مدة خدمته حتى تاريخ وفاته بحاجة الى ستة أشهر وستة عشر يوما كي تبلغ الحد القانوني لمنح الراتب التقاعدي الشهري. وأوضحت الأرملة أن ليس لها أحد يعيلها ويعيل أطفالها الأربعة، وهي تسكن في دار مستأجرة. وتساءلت، والدموع تتساقط من عينيها، كيف ستدبر معيشتها ومعيشة أطفالها حتى يكبروا ويشتد عودهم.

وفي الواقع تأثرتُ كثيرا لقولها إن زوجها قد توفي، وتلك هي مشيئة الله تعالى، لكن ما هو ذنبها في ذلك. طلبتُ منها أن تأتي في اليوم التالي ومعها جميع المستندات الرسمية الخاصة بزوجها وأطفالها وعقد استئجار دارها. تصفحت المستندات وسجلت بعض البيانات، ووعدتها بالسعي لقضيتها. وقد كتبتُ رسالة الى الرئيس البكر بمشكلة هذه الأرملة ورجوته النظر بإنصافها، وأكدتُ له قيامي بتدقيق صحة البيانات شخصيا، فسارع البكر بإنصاف هذه العائلة المسكينة، وأصدر قرارا من مجلس قيادة الثورة، باضافة مدة ستة اشهر وستة عشر يوما الى خدمات زوجها المتوفى لغرض نيل الراتب التقاعدي، وهكذا تلقت الأرملة هذا القرار بدموع الفرح.

دفعت هذه الحادثة، وحوادث مماثلة لاحقة، الى إعادة النظر بالقانون الموروث في هذا المجال. وصدرت أحكام جديدة تقضي بمنح الراتب التقاعدي الشهري لعائلة المتوفى بصرف النظر عن مدة خدمته.

ويتدخل في حادثة إنسانية أخرى

في أحد الأيام طرقت باب منزلي سيدة شكت لي أن زوجها يقبع في السجن نتيجة حكم أصدرته المحكمة بحبسه لمدة سنتين بسبب قضية تجارية. ومشكلتها أن لديها ثلاثة أولاد في عمر المراهقة وليس في العائلة أحد يعينها على رعاية شؤون هؤلاء الأولاد. وعبرت عن قلقها الشديد من بقاء زوجها فترة طويلة في السجن غائبا عن هذه الرعاية، التي قد تسبب لها ولأولادها محنة جسيمة تدمر حياة العائلة. وقدمت لي أوراق القضية التي تصفحتها بإمعان.

كتبتُ الى رئيس الجمهورية رسالة بهذه المشكلة العائلية ورجوته التلطف بالنظر في اقتراحي ببقاء الزوج في السجن سنة واحدة جزاءً على ما ارتكب من مخالفة ودرسا له، وإعفائه مما يتبقى من محكوميته البالغة سنة أخرى رحمة بأولاده الثلاثة.

وكان عليّ في اليوم التالي السفر الى خارج العراق بمهمة رسمية، وبعد عودتي بأسبوع وجدت السيدة المذكورة تطرق بابي مرة أخرى والفرحة تعلو وجهها، وزفت لي صدور قرار الرئيس البكر بتخفيض مدة السجن الى النصف.

ويمنح الاقتصاديين العراقيين ألف قطعة أرض سكنية

توليتُ رئاسة جمعية الاقتصاديين العراقيين لمدة أربع سنوات ابتداء من 1973 خلفا للدكتور سعدون حمادي الذي انتهت مدة رئاسته النظامية حينها (4).

قدمت لي سكرتارية الجمعية جدولا بالمسائل الهامة المنتظر متابعتها وفي مقدمتها مشكلة الأرض التي حرمت الجمعية من تملكها. وتبين أن المشكلة بدأت حين اشترت الجمعية التعاونية للاقتصاديين قطعة أرض كبيرة من الدولة لغرض توزيعها على الأعضاء لبناء دور سكنية لهم. إلاّ أن الدولة عادت واسترجعت قطعة الأرض لاعتبارات المصلحة العامة وعوضت الجمعية التعاونية بقطعة أخرى. لكن هذه القطعة الثانية لم تسلّم هي الأخرى من الإجراءات الحكومية فخرجت من يد الجمعية بقرار صادر من مجلس قيادة الثورة، وبقي نحو ألف مشترك من أعضاء الجمعية في قلق وحيرة، حيث دفعوا مبالغ القسط الأول منذ فترة طويلة وخططوا لأوضاعهم العائلية لسنوات مقبلة.

طلبتُ من الجمعية تهيئة ملف كامل بمستندات الموضوع. وجاءت الفرصة المناسبة حين تم استدعائي لاجتماع مجلس قيادة الثورة لمناقشة بعض الأمور الاقتصادية، فتوجهتُ بعد الاجتماع الى البكر الذي كان واقفا والتعب باد عليه. حدثته عن مئات العوائل التي تعيش الآن بين الأمل والخيبة وشرحت له باختصار غرابة الموقف حيث تقدم الدولة قطعة أرض تعويضا ثم تعود لتسحب التعويض. وكان من حسن الحظ وجود الدكتور سعدون حمادي بجانبي في ذلك الحين فقدمته شاهدا على القضية. ابتسم البكر وقال: لا حاجة الى شاهد، وطلب مني ان أحرر له كتابا مختصرا بالقضية. وبالفعل لم يمض أسبوع كامل حتى صدر قرار مجلس قيادة الثورة بإعادة قطعة الأرض الى الجمعية لغرض إسكان أعضائها، وغمرت الفرحة مئات العوائل.

البكر ينقذ وزير المالية غير البعثي من حرج ترديد شعار الحزب

تمت دعوتي وبعض الوزراء لإحدى اجتماعات مجلس قيادة الثورة لمناقشة بعض الأمور المالية. وكان من بين المدعوين وزير المالية أمين عبد الكريم، المعروف بهدوئه وبساطته وعدم انخراطه في صفوف حزب البعث.

وأثناء النقاش، كما هي العادة في كل مرة أحضر هذه الاجتماعات، يتناول المجتمعون فناجين من الشاي توزع على الجميع فيما يقدم لعزت الدوري خصيصا كوب من الشاي والحليب مع طبق من أرغفة خبز جاف رقيق بسبب حالته الصحية المتصفة بالضعف دائما..

وقعت حادثة طريفة حين انتهى مجلس قيادة الثورة من اجتماعه، وكان البكر ـ رئيس المجلس ـ توقع حدوثها حين طلب من أعضاء المجلس والحاضرين الوقوف.

وقف أمين أسوة بالآخرين، وبدأ البكر بترديد شعار الحزب (أمة عربية واحدة... ذات رسالة خالدة) وردد المجتمعون الشعار وراءه عدا أمين طبعاً، الذي وقف مشدوها متطلعا بوجوه الحاضرين، وأحس البكر بحيرة أمين عبدالكريم ولم يتمكن من حبس ضحكته فأطلقها مع انتهاء ترديد الشعار، وعندها أخذ البكر وهو مستمر بضحكته بيد الوزير أمين وراح يمازحه، فيما كانت عينا أمين غارقتين في دهشة واستغراب وكأنه يشاهد مسرحية لم يألفها من قبل، رغم انه أحد أبرز عشاق الفن والموسيقى في العراق.

البكر يستنجد بعماش لضرب (دوبة) نهرية فالتة من سامراء بصاروخ

يرتفع منسوب نهر دجلة في بداية كل ربيع الى مستوى عال وتنساب مياهه بقوة عارمة تسبب اضرارا مادية وبشرية في الكثير من الأحيان.

في يوم من تلك الأيام انفك رباط إحدى العوامات الحديدية الكبيرة ـ ويطلق عليها محليا اسم (الدوبة) ـ وكانت تحمل جسرا خشبيا على نهر دجلة يقع الى الشمال من مدينة سامراء. وانطلقت العوامة الثقيلة تمضي مع تيار مياه دجلة السريعة باتجاه الجنوب مهددة بكارثة محتملة على السد الكبير المقام عند مدينة سامراء في حال اصطدامها به.

وصل الخبر الى الرئيس البكر الذي اتصل فورا بالفريق صالح مهدي عماش ـ نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ـ طالبا منه العون لتفادي وقوع الكارثة، وعلى الفور طلب عماش ـ الرجل العسكري وسريع البديهة ـ من القاعدة العسكرية الجوية في منطقة كركوك تحريك طائرة حربية بسرعة لضرب الهدف المتحرك (الدوبة) بصاروخ واغراقه، وقد تم ذلك فعلا قبل أن تقترب العوامة من سد سامراء. ولم يترك البكر مكتبه في تلك الساعات وظل قلقا حتى قام عماش ـ الذي روى لي هذه الحادثة ـ بتطمين البكر على نجاح القصف الجوي، فتنفس الصعداء.

مع البكر في زياراته الى موسكو وصوفيا ووارشو

لم يكن البكر راغبا في الإكثار من السفر الى الخارج، إذ كان عدد سفراته أقل بكثير من عدد سفرات نائبه ـ آنذاك ـ صدام. ويبدو أن البكر كان يشعر بثقل هذه المهمات والإجراءات البروتوكولية التي لا تتماشى مع بساطته. وربما كان يشعر بعدم الحاجة الى تقديم نفسه شخصيا للعالم الخارجي، حيث قناعته بمراكزه العليا الرسمية والحزبية التي لا يعلو عليها شيء في الداخل. أروي هنا بعض المشاهد حين كنتُ عضوا في الوفود التي ترأسها البكر في زياراته الرسمية للدول الثلاث: الاتحاد السوفييتي وبلغاريا وبولندة.

الإجراءات الأمنية في زيارات البكر وصدام الى الخارج

جرت العادة بالنسبة لسفرات البكر الخارجية، وكذلك بالنسبة لصدام، ان تأخذ الطائرة العراقية مسارا جويا بعيدا عن اسرائيل سواء في المغادرة او العودة. وتحلق الطائرة فوق مناطق بلدان وبحار بعيدة لتجنب القوة الجوية الاسرائيلية المحتملة، وهو ما كان يتردد خلال الأحاديث مع طاقم الطائرة. إن وقت وصول الطائرة العراقية على وجه التحديد يبقى سرا تجاه البلد المضيف حتى يصبح الوقت المتبقي لهبوط الطائرة قصيرا جدا. وأتذكر ما حدث في سفرتي مع البكر الى بلغاريا في شهر حزيران (يونيو) 1973، على سبيل المثال، فقبل نحو ساعة فقط من هبوط الطائرة في مطار العاصمة صوفيا أعلم قائد الطائرة العراقية برج المطار أن الوفد العراقي برئاسة (الرجل الأول) على متن الطائرة، وتحاشى ـ بناء على طلب الطاقم الأمني المرافق ـ ذكر اسم البكر او رئيس الجمهورية بشكل صريح كاحتياط أمني، وفي الواقع كان هذا الاعلام المتأخر ـ الذي أصبح عادة ـ يسبب ارباكا للبلد المضيف حيث لا بد له من إتمام استعدادات الاستقبال الرسمي ـ الوزراء والسلك الدبلوماسي ـ في وقت محدد مسبقا.

× حين يقدم للبكر او لصدام فنجان من القهوة او الشاي في قاعة الاستقبال في مطار البلد المضيف يتناولانه برقة ويضعانه جانبا دون شربه كإجراء احترازي مما قد يدس فيه من مواد سامة.

× يرابط قسم من طاقم الحماية ليل نهار في داخل الطائرة العراقية الجاثمة على أرض المطار في البلد المضيف طيلة فترة الزيارة كإجراء أمني.

× عند وصول البكر الى مكان إقامته في البلد المضيف ـ وينطبق على صدام ايضا ـ يقوم الطاقم الأمني العراقي بفحص جميع غرف وصالات دار الإقامة بالأجهزة الفنية للتأكد من عدم وجود نقاط مزروعة للإنصات.

× يفتح خط هاتفي بين مكان إقامة البكر في البلد المضيف وبدالة هاتف بغداد المركزية، ويبقى الخط مفتوحا ومحجوزا هكذا ليل نهار طيلة أيام الإقامة بهدف ضمان الاتصال الهاتفي الفوري بين البكر من الخارج والقيادة في بغداد حول أي أمر مهم او عصيب. ويؤخذ بهذا الإجراء في زيارات صدام أيضا. ولاحظتُ أن الكثير من أعضاء الوفد يغتنمون فرصة هذا الخط المفتوح بصورة متواصلة ويطلبون من بدالة هاتف بغداد المركزية ربطهم بدور عوائلهم واصدقائهم للسلام والدردشة فقط.

زيارة البكر الى الاتحاد السوفييتي

لاحظتُ انه بمجرد جلوس البكر أمام طاولة المفاوضات ينهمك بتدوين كامل كلام رئيس الجانب الآخر تقريباً على كراس أمامه، وأحيانا يستعصي ذلك عليه، فيما كان من المفروض اكتفاؤه بتسجيل النقاط الرئيسية فقط، وهكذا تختلط عليه النقاط المهمة من سواها، إضافة الى أن مثل هذا التدوين غير ضروري بالنسبة له كرئيس للجمهورية ورئيس للوفد. فالسفير العراقي الذي يحضر الاجتماعات عادة وعضو آخر يتوليان تدوين المحضر. وفي زيارات لاحقة جرى إعلام البكر بهذه الملاحظة الإجرائية فكفّ عن أسلوب التدوين المضني وغير الضروري، ولكن ذلك يبقى مؤشرا على بساطة البكر وقلة خبرته البروتوكولية. جاءت زيارة البكر للاتحاد السوفييتي في منتصف شهر أيلول (سبتمبر) 1972 تلبية لدعوة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي وهيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى والحكومة السوفييتية، أي بعد ثلاثة أشهر ونصف الشهر من قرار العراق بتأميم النفط، بهدف تعزيز العلاقة في جميع المجالات التي فتحت أبوابها معاهدة الصداقة العراقية ـ السوفييتية منذ توقيعها في ربيع ذلك العام. بدأت المحادثات في موسكو بحضور اعضاء الوفدين العراقي والسوفييتي، وتناول البكر في كلمته رؤية العراق للأوضاع السياسية الاقليمية والدولية، وعرّج على القضايا العراقية التي يأمل استجابة الجانب السوفييتي لها ومن ضمنها الطلبات الاقتصادية والعسكرية. وبعد انتهائه من الكلام أعلن الجانب السوفييتي الموافقة على هذه النقطة وتلك، ثم وعد بالإجابة على ما تبقى من نقاط في جلسة تالية ما يعني أن هناك حاجة لبحث تلك النقاط الحساسة في السلطة العليا أولا لاعطاء الرأي بشأنها. لم تقتصر المفاوضات على الجلسات العامة التي حضرها جميع أعضاء الوفدين إذ كان رئيسا الوفدين التقيا في جلسة مغلقة لم يحضرها غير المترجم، حيث جرت العادة ـ وهو ما لاحظته في سفراتي مع البكر وصدام الى دول عديدة ـ أن يختلي رئيسا الوفدين لبحث أمور في غاية الحساسية والأهمية يريان من المصلحة عدم الإفصاح عنها حتى لأعضاء الوفدين. كان الاتحاد السوفييتي مهتما بتلك الزيارة فاستجاب لطلب العراق بتزويده بطائرات مقاتلة من مجموعة (ميغ) المتطورة التي لم يزود بها بلد من بلدان العالم الثالث من قبل. كما وافق على قيام العراق بتسديد أثمان السلع السوفييتية المستوردة بالنفط 100 بالمئة. أشير هنا الى زيارة سابقة قام بها صدام الى الاتحاد السوفييتي الذي حصر موافقته، بعد جهد، على تسديد ما يعادل 70 بالمئة فقط من قيمة السلع السوفييتية بالنفط العراقي فيما كان الاستغراب يعلو ملامح صدام في تلك الساعات من هذا الموقف المتشدد خاصة وان العراق كان ما يزال يقارع شركات النفط الأجنبية. إلا أن ما خفف من الموقف وضوح حسابات الاتحاد السوفييتي الذي كان ينتظر زيارة البكر ليتوجها بالموافقة على تسديد قيمة المستوردات السوفييتية بالنفط 100 بالمئة وهو ما تم فعلا.

مع الرئيس البكر الى بلغاريا وبولندا

في شهر حزيران (يونيو) 1973 جاءت زيارة البكر لبلغاريا، حيث استقبل استقبالا حافلا رسميا وشعبيا، واصطفت جموع الشبان والشابات على جانبي الطريق من المطار الى قصر الضيافة حاملين الأعلام واللافتات والفرحة العارمة بضيف البلاد تعلو محياهم. كان الرئيس البلغاري (تيودور جيفكوف) متواضعا ومرحا ويتصرف مع البكر وكأنه صديق حميم منذ سنين عديدة، ويفهم في الوقت نفسه تقاليد البكر المحافظة. وأتذكر ان (جيفكوف) خصص إحدى الأمسيات لمشاهدة عروض فولكلورية دعيت لتقديمها فرقة فنية في القصر نفسه وليس في أحد المسارح، وجلس بجانب البكر وسعى لتهيئة جو من الألفة والمرح بضحكته ومداعباته، بل كان أول من يصفق بحرارة للفرقة بعد انتهاء كلّ عرض من عروضها، فيما بقي البكر طيلة الوقت هادئا ومحافظا على توازنه المعهود، مكتفيا بالرد على (جيفكوف) بابتسامة خجولة. في تلك الفترة كان العالم قد دخل في أزمة نفطية، فكميات النفط في السوق العالمية قليلة والأسعار تتجه نحو الارتفاع، ولم يكن الشاغل للدول كامنا في السعر العالي بل في كيفية الحصول على كميات مضمونة من النفط. ولم تكن تعاقدات بيع النفط العراقي مع الجهات الأجنبية تسمح آنذاك بتلبية احتياجات بلغاريا إلاّ بكمية معينة كانت بنظر الجانب البلغاري أقل بكثير من حاجته. ولعبت هنا العلاقات الشخصية ـ الحديثة/ القديمة ـ بين جيفكوف والبكر دورا هاما، فطلب البكر من خبراء الوفد العراقي مراجعة حساباتهم وتوفير كمية اضافية لبلغاريا تكريما لهذا البلد الصديق ورد الجميل له، وهو ما تم فعلا. عندها لمس جيفكوف أن بلغاريا تجاوزت مشكلتها النفطية العصيبة من خلال موقف البكر الودي الذي لا ينسى. ويمكن القول ان موقف البكر هذا يشكل الاعتبار الرئيسي وراء الإصرار البلغاري على استضافته القصيرة، مرة اخرى وبعد بضعة أيام، وهبوط طائرته التي كانت محلقة في أجواء بلغاريا في طريقها من العاصمة البولندية وارشو الى بغداد، تلك الاستضافة غير المحسوبة التي أخرت وصول البكر الى بغداد يوم 1973/6/30 بضع ساعات وأنقذته من محاولة الانقلاب المعروفة التي نظمها ناظم كزار مدير الأمن العام . خلال زيارته لبلغاريا قلد «جيفكوف» البكر أعلى وسام بلغاري، فيما منح أعضاء وفده أوسمة، كان لي منها «ستارا بلاتينا» وسام جبل بلقان.

دار الحكمة لندن

هكذا عرفت البكر وصدام
رحلة ٣٥ عاما في حزب البعث
الدكتور فخري قدوري

رئيس الجمهورية احمد حسن البكر وفخري قدوري عام 1973

نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع حردان التكريتي يفتتح معرض بغداد الدولي في خريف 1969، وبجانبه فخري قدوري وزير الاقتصاد

جرت العادة بالنسبة لسفرات البكر الخارجية... وكذلك بالنسبة لصدام .. ان تأخذ الطائرة العراقية مسارا جويا بعيدا عن اسرائيل سواء في المغادرة او العودة.... وتحلق الطائرة فوق مناطق بلدان وبحار بعيدة لتجنب القوة الجوية الاسرائيلية المحتملة، وهو ما كان يتردد خلال الأحاديث مع طاقم الطائرة....

هوامش

(1) ولد صالح مهدي عماش في بغداد عام 1922. وهو من العسكريين البارزين في الحزب. وزير الدفاع في حكم البعث عام 1963. عضو القيادتين القطرية والقومية. عضو مجلس قيادة الثورة ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية والمشرف على الأمور الاقتصادية منذ تموز (يوليو) 1968. تم إعفاؤه من مناصبه في ايلول (سبتمبر) 1971 وتعيينه سفيرا في الاتحاد السوفييتي، ثم سفيرا في عدد من الدول الأوروبية حتى وفاته عام 1985.

(2) يشيد التقرير الصادرعن المؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي المنعقد في حزيران (يونيو) 1982 بالدور الريادي لصدام حسين في عملية تأميم النفط، ويشير الى أن صدام «هو الذي واجه بصبر وحكمة وحزم حالات التردد والخوف التي سبقت لحظات اتخاذ القرار تلك الحالات التي بقيت سنوات طويلة مكتومة لا يعرفها إلا عدد قليل». ومن المحتمل جدا ان يكون البكر هو المقصود هنا او أحد المقصودين.

(3) حردان عبد الغفار التكريتي المولود في مدينة تكريت عام 1926من الشخصيات العسكرية البارزة في الحزب، قائد القوة الجوية في عام 1963، وصل الى رتبة فريق أول ركن طيار. كان يتعرض لانتقادات وملاحظات الحزبيين بسبب نظرته الليبرالية والشكوك في انضباطه الحزبي.

(4) تضم الجمعية خريجي الجامعات في الدراسات الاقتصادية، وكان لها دور بارز في الحياة العلمية والاجتماعية في البلاد أسوة بالجمعيات والنقابات المهنية الأخرى. ينتخب أعضاء الجمعية كل سنتين الهيئة الادارية التي كانت تضم، في تلك الحقبة من الزمن، أشخاصا من تيارات سياسية مختلفة أجمعت على العمل يدا واحدة ضمن إطار الائتلاف. ثم تقوم الهيئة الإدارية بانتخاب رئيس لها ـ رئيس الجمعية ـ ونائبا للرئيس من بين أعضائها. في تلك الفترة كنتُ رئيسا للجمعية فيما كان الدكتور كاظم حبيب ـ من قياديي الحزب الشيوعي ـ نائبا للرئيس.

* كاتب عراقي يقيم في بريطانيا